

المؤتمر العالمي الثاني لبديع الزمان سعيد النورسي  
"بديع الزمان سعيد النورسي واعداد بناء العالم الاسلامي في القرن العشرين"  
27 - 29 ايلول 1992 استانبول - تركيا

الإمام بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في ترسيخ الإيمان

د. أحمد عبد الرحيم السايح

الاستاذ بجامعة الازهر وجامعة قطر\*

لقد ظهر سعيد النورسي في فترة حرجة.. كانت أحوج ما يكون إلى الإمام سعيد. لتنمية الإحساس بالحياة، والقدرة على الإشباع العاطفي البناء، والمساهمة الفعالة في ترسيخ الإيمان. وسعيد النورسي ولد في قرية "نورس" قريبة من بحيرة "وان" شرقي تركيا عام 1293هـ الموافق 1876م. ومن هنا اكتسب لقبه: "النورسي".

وسعيد النورسي ولد من أبوين كريمين فاضلين.. فقد كان والده الشيخ "ميرزا" ورعاً، يضرب به المثل في التقوى، والصلاح.. وقد نقل عنه: "أنه لم يذق حراماً، ولم يطعم أولاده إلا من حلال" ومما يذكر أن أمه "نورية" كانت كذلك قمة في الورع. وينقل عنها أنها قالت: "ما أرضعت أطفالاً إلا وأنا على طهر ووضوء". في هذا البيت الذي يسوده الإيمان، وفي ظل هذه الأسرة الكريمة.. ترعرع سعيد النورسي ونشأ. وبعد سن الطفولة انخرط في سلك طلب العلم، في المدارس الدينية، وهي مؤسسات للتعليم العالي. يمكن اعتبارها مكافئة أو مناظرة للجامعات أو الكليات أو معاهد الدراسات الإسلامية المعاصرة..

وقد اكتشف العلماء والمدرسون الذين أشرفوا على تعليم سعيد.. أن سعيداً يتمتع بمواهب فائقة. فقد أكرمه الله، بذاكرة قوية وحادة، تمكنه من استذكار القطع العربية الصعبة، واستظهارها في وقت قصير جداً.

ومما يروى في هذا الصدد.. أنه كان يستظهر عدداً كبيراً من المراجع الإسلامية الشهيرة.. كما كان يتمتع بقوة ادراك حاد. ساعده ذلك على أن يسير مسافات كبيرة، في مجال العلوم، في مدة زمنية وجيزة. تأخذ من الآخرين سنوات طويلة لدراستها.. ومن ثم استحق أن يطلق عليه اسم: "بديع الزمان"..

لقد سطعت شخصيته ببوارق النبوغ والذكاء، منذ حداثة سنه، وتلقى العلوم الإسلامية، على أشهر علماء عصره، وتبحر في هذه العلوم بجهده الشخصي، ونال إجازته العالمية. وهو ابن أربع عشر سنة.

وقد شغفته العلوم الحديثة، واستأثرت بإهتمامه، فانكب على دراستها منذ سنة 1893م في "وان" فدرس الرياضيات، والفلك، والكيمياء، والفيزياء، والجيولوجيا، وغير ذلك من علوم، وألف في البعض منها.. ولما عين عضواً في أعلى مجلس علمي في الدولة العثمانية، وهو: "دار الحكمة الإسلامية" ألف في تلك الفترة، نحو أحد عشر مؤلفاً، حول العقيدة وقضايا الإيمان.

وعندما تعرضت الأمة الإسلامية لتكالب شرس، أدرك سعيد النورسي: أن ميدان الجهاد بالنسبة له، قد انحصر في تربية النفوس على الإيمان.

- تربية تجعل الإنسان ايجابياً. يعيش في حركة فكرية، ونفسية، وجسدية، بناءة بعيداً عن السلوك التخريبي.

- تربية تؤهل الإنسان للطاء، وتنمي فيه القدرة على الإنتاج، والإبداع. بما تفتح له من آفاق التفكير والممارسة.

- تربية تعد الإنسان إعداداً إنسانياً ناضجاً لممارسة الحياة، بالطريقة التي يرسمها ويخطط أبعادها الإسلام. لأن الحياة في نظر الإسلام: عمل، وبناء، وطاء، وتنافس في الخيرات.

- تربية تجعل الشخصية الإسلامية، شخصية متزنة، لا يطغى على موقفها الإنفعال، ولا يسيطر عليها التفكير المادي، ولا الانحراف الفكري، المتأتي من سيولة العقل وامتداد اللامعقول.

- تربية تبني الإنسان على أساس وحدة فكرية، وسلوكية، وعاطفية، متماسكة، على أساس من التنسيق، والتوافق الفكري، والعاطفي، والسلوكي، الملتزم الذي لا يعرف التناقض، ولا الشذوذ.

- تربية تجعل الإنسان يشعر دوماً أنه مسئول عن الإصلاح. وأنه يجب عليه أن ينهض بمسئوليته، ويقود نحو شاطئ العدل والسلام.

ومما يكاد أن يكون معروفاً. أن أخطر ما تتعرض له الأمة، هو هدم شخصيتها الإسلامية، هدماً عقدياً، وثقافياً، وسلوكياً، وعاطفياً..

ولعل طبيعة الهدم، لم تنشأ إلا من جراء، انهدام الشخصية الإسلامية. وما أعقب ذلك من غياب الروح الرسالية، التي تتدفق بالحركة نحو الكمال، وتنشع بالرشد والهداية، ولهذا نجد أن

الإمام سعيد النورسي، ينكب على إملاء "رسائل النور" على طلابه ومحبيه. ورسائل النور جاءت تضع العلامات المضيئة في الطريق.. لتكون الكلمة أداة بناء، تساهم في صنع الخير، وإشاعة الود، والمحبة، بين الناس، ولما كان الإمام سعيد النورسي يدرك تماماً أن المبارئ الإسلامية بمفاهيمها الأساسية، ومناهجها التربوية، تصنع شخصية متميزة. لها سماتها، وتوجهاتها، وغاياتها الخاصة التي تميزها بوضوح. عنى في "كليات رسائل النور" بهذه المبادئ.. ولما كانت الشخصية الإسلامية تتميز:

- بالاتجاه العقلي.

- والتوجه المستمر نحو الكمال.

- والنزوع القيادي.

- والايجابية.

- والاتزان.

- والالتزام.

- والإحساس الإنساني.

فإن الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، وضع في سائر مؤلفاته ورسائله. كل ما من شأنه، أن يكون أساساً، للشخصية الإسلامية، وقواعد يشاد عليها وجودها، وتبنى عليها كل مظاهر تحققها وتجسدها..

محاسن الإيمان:

في المبحث الأول، من الكلمة الثالثة والعشرين. من مجموعة الكلمات من "كليات رسائل النور". نجد أن بديع الزمان يقول: "تبيين من آلاف محاسن الإيمان خمسة محاسن فقط في خمس نقاط":

- النقطة الأولى: إن الإنسان يسمو بنور الإيمان إلى أعلى عليين. لأن الإيمان انتساب

- النقطة الثانية: أن الإيمان ينور الكائنات أيضاً. وينقذ الزمان الماضي والمستقبل من

الظلمات.

- النقطة الثالثة: ان الإيمان نور وقوة.

- النقطة الرابعة: ان الإيمان يجعل الإنسان إنساناً.

- النقطة الخامسة: أن الإيمان يقتضي الدعاء " 1

ولا يخفى على أحد، أن هذه المحاسن، التي جاءت في خمس نقاط. هي قوة دافعة، تسند الضعيف أن يسقط، وتمسك القوي أن يجمع، وتعصم الغالب أن يطغى ويفجر، وتمنع المغلوب أن ييأس.

إن هذه المحاسن التي جاءت من آلاف محاسن الإيمان. تملأ النفوس بالفضائل وتركيها، وتقوم الضمائر، وتسدد العزائم، وتزكي القلب، وتغذي العقل.

وإذا وقفنا عند النقطة الأولى من نقاط محاسن الإيمان، والتي تتضمن: "أن الإنسان يسمو بنور الإيمان إلى أعلى عليين" وجدنا أن بديع الزمان يتابع ذلك بقوله: "ذلك لأن الإيمان يربط الإنسان بصانعه الجليل، ويربطه بوثق شديد، ونسبة إليه. فالإيمان إنما هو انتساب. لذا يكتسب الإنسان بالإيمان قيمة سامية"2

فالإيمان -كما ترى- ليس في واقع منهج بديع الزمان التربوي سوى سلوك هادف وواعي. سلوك ليس خيالياً أو وهمياً. بل إنساني وعملي. يبلغ أقصى درجات الدقة في التحقق، حينما يرقى بالسالك. ومما يكاد أن يكون معروفاً أن في الإنسان قابلية التأثر، وهو يملك القدرة على التأثير. فكان لا بد من صيانة "قابلية التأثير لديه" لكي لا يكون مجالاً رحباً للمؤثرات الخارجية المنافية للطرة السليمة، والذوق الرفيع، والكمالات الإنسانية الكريمة.

ولأن الإنسان يملك القدرة على التأثير فيما حوله. أصبح من الضروري أن يظل هذا الإنسان سليماً لتظل تأثيراته سليمة. ولا يمكن أن يظل الإنسان سليماً إلا في ظلال الإيمان ..

وقد لا يخفى أن النفس الإنسانية، تسعد، وتشقى، وتصح، وتمرض، وتتسامى، وتتسافل، وهي كذلك كالجسم بحاجة إلى وقاية قبل الإصابة، وبحاجة إلى علاج إذا سقطت فريسة الأوبئة، التي تنتاب النفوس المظلمة، التي فقدت مناعتها، فخارت قواها..

ولا توجد مدرسة. تتناول بالرعاية، والعناية: النفس الإنسانية، كمدرسة الإيمان الذي يسمو بصاحبه إلى أعلى عليين.

إن الإيمان يخط المسار، ويضع المنهاج، ويستجيب لنوازع النفس الخيرة، وينميها، ويحول بين النفس وبين دواعي الشر والانحراف. بما وفر من قيم فعالة تعالج ما قد يبئني به الإنسان، من

إصابات سلوكية تؤدي به إلى الهاوية.

فبالإيمان تنتقد جذوة الحب الإلهي في نفس الإنسان المسلم. فيرتقي إلى عوالم الإنشراح،  
وساحات القرب، ويجوب رياض اليقين..

- أما النقطة الثانية من نقاط محاسن الإيمان، فإنها تنطلق من: أن الإيمان ينير الكائنات  
وينقذ القرون الخالية والآتية من الظلمات الدامسة..

ولقد كان الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي، في هذه النقطة، بليغاً أقصى درجات البلاغة،  
ويعلم الله أنني وقفت طويلاً أتأمل هذه الحكمة. التي انطلقت لتؤكد صلة المؤمن بالكائنات  
والوجود. وتبين في وضوح. أن الوجود كله عابد بطبيعته، منصاع لوظيفته.. ولا يسعه إلا أن  
يطيع ربه. في ولاء. لا يشوبه استكاف، ولا يطاوله تأب.. بل إنه جميعاً من أعلاه إلى أسفله،  
يهتف في البداية، من عالم الأزل، بلغة المقهور، أمام عظمة القاهر، وهتاف العابد، تجاه قدسية  
المعبود. بما سجله الحق في قوله: **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا  
طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**

إن هذه النقطة التي تبرز صلة المؤمن بالكائنات، ودور المؤمن في الإنقاذ، والإصلاح،  
والصلاح، تجعل سلوك الفرد المسلم، قائماً على أساس الإختيار اليقظ الواعي. بعيداً عن العادة  
الآلية، التي تجعل من السلوك سكوناً رتيباً، لا يعبر عن وعي الإنسان، وارتباطه بخالقه.

وكم هو سهل هدم الموقف الإنساني، والانسحاب من الفعل، مهما يكن خيراً وضخماً. عندما  
يبني هذا الفعل على أساس من الآلية والاعتقاد. بعيداً عن الوعي، والقناعة، والاتجاه الذاتي اليقظ.

لذلك جاء كليات رسائل النور للإمام بديع الزمان. تحرص في نقاطها على تثبيت قواعد  
الفعل، في أعماق الذات الإنسانية. وكأن الإمام بديع الزمان يريد أن يضمن استمرار الإنسان  
المسلم على فعل الخير، وبناء الحياة الإنسانية على أسس من الوعي، والاخلاص. وبمنأى عن  
النفاق، والرياء، والاحتيال.

- والنقطة الثالثة من نقاط محاسن الإيمان: "أن الإيمان نور، وهو قوة أيضاً فالإنسان الذي  
يظفر بالإيمان الحقيقي. يستطيع أن يتحدى الكائنات، ويتخلص من تضيقات الحوادث. مستنداً إلى  
قوة إيمانه، فيحمر متفجراً على سفينة الحياة، في خضم أمواج الأحداث العاتية، بكمال الأمان،  
والسلام، قائلاً: **توكلت على الله..**

فالإيمان إذاً يقتضي التوحيد. والتوحيد يقود إلى التسليم. والتسليم يحقق التوكل. والتوكل يسهل الطريق إلى سعادة الدارين.

ولا تظن أن التوكل هو رفض الأسباب وردّها كلياً. وإنما هو عبارة عن العلم بأن الأسباب هي حجب بيد القدرة الإلهية. ينبغي رعايتها ومداراتها. أما التشبث بها أو الأخذ بها. فهو نوع من الدعاء الفعلي، ومن ثم فطلب المسببات، وترقب النتائج، لا يكون إلا من الحق سبحانه وتعالى".

وأن المتأمل أبعداً وأعماقاً، فيما ذكره الإمام بديع الزمان في النقطة الثالثة، من نقاط محاسن الإيمان. يرى أنه أمام نقاط تقود الإنسان إلى الطريق السليم، ويتبين له بوضوح. حرص الإمام بديع الزمان، على سلامة صدور المؤمنين.. فإن أبرز ما يرتفع بقيمة الإنسان، هو إيمانه بربه ومعرفته به. ولا يصل الإنسان إلى كمال الإيمان إلا إذا أيقن: أن الله وحده هو مصدر العطاء والمنح لهذا الوجود.

ولا يتكامل هذا الإيمان في جنان صاحبه إلا إذا علم علم اليقين أن الله وحده هو كل شيء، المتفرد على سائر خلقه بالحياة الأزلية، والبقاء، والوجود. وأن ماعداه ليس سوى أعراض تستمد قيمتها، وحيويتها، وكيانها من إشعاع جلاله، وشمول قيوميته.

والإنسان لا بد له من إدراك هذه الحقيقة، والإيمان بها، والعمل بمقتضاها، بحيث تنعكس بكل إشراقاتها عليه، في كل ما يأتي وما يذر، يعتمد على ربه، ويستمد منه العون..  
الإيمان - كما يقول بديع الزمان - يقتضي التوحيد، والتوحيد يقود إلى التسليم، والتسليم يحقق التوكل، والتوكل يسهل الطريق إلى سعادة الدارين".

نعم الإيمان يقتضي التوحيد، لأن الإيمان الحق يطبع أصحابه بطابع الصلة القوية بالله، ويمنحهم طاقات من الثقة فيه لا مثيل لها. ويصب في وجداناتهم من دقات اليقين ما يعلو فوق الريب.

والتوحيد يقود إلى التسليم، والتسليم يحقق التوكل، لأن التوكل أحد شعب الإيمان وموجباته، وأحد خصائصه، ومنحه ومعطياته. به تتجدد الثقة بين الخلق والخالق، وتتوثق الصلة بين أهل الأرض وخالق الوجود.

إن التوكل من خير صفات الإيمان، التي يتصف بها المؤمنون. حيث بها يستعلي المؤمن

على كل هون، ويتأبى على كل ضيم، ويقف قلعة شماء في وجه الأهواء وصخرة عاتية. لايلين مع الهوى، ولا يتأثر بأي إغواء أو غواية. ولا يرى على نفسه سلطاناً غير سلطان الله.

ودعوة الإمام بديع الزمان إلى التسليم الذي يحقق التوكل. دعوة إلى كل ما ينهض بالمسلمين. ويربطهم بأسباب الثقة والعزة والسعادة، في شتى نواحي الحياة. والتوكل برهان إيمان الأمة، وآية إسلامها، ومناط عرفانها بربها، وتوحيدها لخالقها، الذي تلوذ به، وتلجئ إليه، وتعصم به، وتتوكل عليه ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم

وإذا انتقلتُ إلى النقطة الرابعة، من نقاط محاسن الإيمان، وجدت فيضاً، يؤكد أن الإيمان، يجعلُ الإنسان إنساناً حقاً، بل يجعله سلطاناً. لذا كانت وظيفته الأساس: “الإيمان بالله تعالى والدعاء إليه، بينما الكفر يجعل الإنسان حيواناً مفترساً في غاية العجز” 5.

ويذكر الإمام بديع الزمان دليلاً واضحاً، وبرهاناً قاطعاً، من بين آلاف الدلائل على هذه المسألة، وهي التفاوت والفروق، بين مجيء الحيوان والإنسان إلى دار الدنيا.. وقبل أن أذكر الدليل الذي فاض به الشيخ بديع الزمان. أقرر أنني وقفت طويلاً متتلماً على هذا الحكيم، الذي يسعى إلى ترسيخ الإيمان، وبيان اكتمال الإنسانية الذي لن يكون بغير الإيمان.

يقول الإمام بديع الزمان في هذا الدليل: “نعم إن التفاوت بين مجيء الحيوان والإنسان إلى هذه الدنيا، يدل على أن اكتمال الإنسانية وارتقاءها إلى الإنسانية الحقّة. إنما هو بالإيمان وحده. وذلك لأن الحيوان حينما يأتي إلى الدنيا، يأتي إليها كأنه قد اكتمل في عالم آخر، فَيُرْسَلُ إليها متكاملًا، حسب استعداده.. فيتعلم في ظرف ساعتين أو يومين أو شهرين جميع شرائط حياته، وعلاقاته بالكائنات الأخرى، وقوانين حياته، فتحصل لديه ملكة.. فيتعلم العصفور زو النحلة -مثلاً- القدرة الحياتية والسلوك العملي، عن طريق الإلهام الرباني، وهدايته سبحانه، ويحصل في عشرين يوماً على ما لا يتعلمه الإنسان إلا في عشرين سنة.

إذا الوظيفة الأساس للحيوان، ليست التكمّل والاكتمال بالتعلم، ولا الترفي بكسب العلم والمعرفة. ولا الاستعانة والدعاء بإظهار العجز.. وإنما وظيفته الأصلية: القيام بالعمل حسب استعداده. أي العبودية الفعلية.

أما الإنسان فعلى العكس من ذلك تماماً، فهو عندما يقدّم إلى الدنيا، يقدمها وهو محتاج إلى تعلم كل شيء وإدراكه. إذ هو جاهل بقوانين الحياة كافة جهلاً مطبقاً. حتى قد لا يستوعب شرائط حياته خلال عشرين سنة. بل قد يبقى محتاجاً إلى التعليم والتفهيم مدى عمره.

فضلاً عن أنه يُبعث إلى الحياة. وهو في غاية الضعف والعجز. حتى أنه لا يتمكن من القيام منتصباً إلا بعد سنتين من عمره. ولا يكاد يميز النفع من الضر، إلا بعد خمس عشرة سنة. ولا يمكنه أن يحقق لنفسه منافع حياته ومصالحها ولا دفع الضرر عنها إلا بالتعاون والانخراط في الحياة الاجتماعية البشرية.

والنتيجة الضرورية التي يستخلصها الشيخ بديع الزمان، أن وظيفة الإنسان الفطرية إنما هي التكمل "بالتعلم" أي الترقى، عن طريق كسب العلم، والمعرفة، والعبودية "بالدعاء".

أي أن يدرك في نفسه ويستفسر:

- برحمة من وشفقته. أدارى بهذه الرعاية الحكيمة؟

- وبمكرمة من وسخائه أربى هذه التربية المفعممة بالشفقة والرحمة؟

وأطاف من وجوده أغذى بهذه الصورة الرازقة الرقيقة؟

فيرى أن وظيفته حقاً هو الدعاء، والتضرع، والتوسل، والرجاء. بلسان الفقر، والعجز، إلى

## قاضي الحاجات 6.

أما النقطة الخامسة من نقاط محاسن الإيمان. فإن الشيخ بديع الزمان. يقول فيها: "كما أن الإيمان يقتضي الدعاء، فيتخذ وسيلة قاطعة، ووساطة بين المؤمن وربّه، وكما أن الفطرة الإنسانية تتلّف إليه بشدة وشوق، فإن الله سبحانه وتعالى، يدعو الإنسان، إلى الأمر نفسه. بقوله: "قل ما يعبؤا بكم بي لولا دعاؤكم" ويقوله تعالى: " ادعوني أستجب بكم" ..

ولا يخفى على باحث أو دارس، أن هذه النقطة، تتصل بالنقطة الرابعة، من نقاط محاسن الإيمان، وترتبط بها ارتباطاً وثيقاً. فالعلاقة بين الإيمان والدعاء علاقة لا انقطاع فيها.. لأن الدعاء تعبير طبيعي عن إحساس نفسي، وشعور حي لدى الإنسان. والمؤمن بالله سبحانه وتعالى، يعرف مصدر توجهه، ومبدأ حياته. وهو الله سبحانه. فيتوجه إليه بروح مؤمنة، مملوءة بالأمل، والثقة، والرجاء. في حين يظل نقيضه الكافر بالله يعيش حالة من الحيرة والضياع، والبحث غير المجدي، وهو يعيش الإحساس ذاته. ولكن لا يدري إلى أين يتوجه لا يعرف الجهة التي يبثها هذا الإحساس والالام، ولا يستطيع اكتشاف الرحمة والحنان، الذي يغمر عوالم الوجود، ويتسع للتجارب مع هذا الإحساس.

لذلك فهو يحمل هذا الإحساس بين جنبيه: وخزات تباعد بينه وبين الاستقرار، والطمأنينة.

ويأساً يسد أمامه، منافذ الرجاء، والخلاص.. فالدعاء هو من مقتضيات الإيمان بالله، لأنه وسيلة لربط الإنسان بالله، والتوجه إليه، والاعتراف بين يديه، وإظهار حاجة الإنسان وفقره وضراوته، ورغبته في إصلاح نفسه، وانعاش حياته.

وإذا كان الدعاء هو من مقتضيات الإيمان بالله -كما أشار إلى ذلك الشيخ بديع الزمان- فإن الفطرة الإنسانية -كما يقرر بديع الزمان- تتلطف إليه بشدة وشوق. لأن الإحساس بالحاجة والشعور بالحيرة، والرغبة في التوجه إلى قوة تساعد على الإنقاذ والخلاص، إحساس بشري عام. فما من إنسان إلا وينتابه العجز والحيرة، ويشعر بالضيق، ويحس بالحاجة إلى قوة تسعفه، وتتقذه من محنته، وحيرته، وتقطع يأسه، وشعوره بالعجز، والضيق في هذا العالم. والنفس البشرية، ذات الأبعاد المختلفة، والاعماق، والأغوار المعقدة الغامضة.. لا يمكن ملؤها بالحاجات المادية وحدها. مهما يغالي الإنسان في الإشباع المادي. والإنسان بطبيعة تكوينه، وحقيقة وجوده. يتعرض في حياته لمشاكل ونكبات، وآلام، وإحساس بالخيبة، وقصور عن الأهداف.

فليس كل شيء في الحياة يتحقق للإنسان كما يريد، ولا كل شيء يجري وفق مشيئته. وبذا تبقى الحاجة قائمة، والرغبة غير مشبعة، والشعور بالحاجة متعاضداً في نفس الإنسان.. وتلك حكمة الله الخبير.. جعل كل ذلك ليبقى الإنسان مرتبطاً بخالقه، متوجهاً إليه.. ومن اللغات التي لفت إليها بديع الزمان في الدعاء. قوله: "إن استجابة الدعاء شيء وقبوله شيء آخر. فكل دعاء مستجاب. إلا أن قبوله وتنفيذ المطلوب نفسه منوط بحكمة الله سبحانه.. " 7 والدعاء عبادة يتعبد بها المسلم، ويتقرب بها إلى الله سبحانه.. والدعاء تعبير عن إيمان المسلم، وقراره بأن الله هو خالق كل شيء. وتلك نقاط محاسن الإيمان، التي اختارها الإمام بديع الزمان سعيد النورسي من بين آلاف المحاسن، لتكون علامات مشرقة.

والشيخ بديع الزمان اختارها من بين آلاف المحاسن، لتكون حقائق المحاسن، دافعة للإنسان المسلم إلى أن ينطلق، وهو مسوق بقيم ومواريث لها في وعيه فاعليتها القوية.

الحقائق الإيمانية والعقائد الإسلامية:

مما يحسن أن أشير إليه، أنني وقفت طويلاً، أبحث عن عنوان لهذا المحور، الذي يتناول العقائد الإسلامية. وكلما وضعت عنواناً، بدأ لي أن فيه قصور، وغيره أفضل منه. وشاء الله سبحانه وتعالى، أن تقع عيناى على كلام للإمام بديع الزمان سعيد. يقول فيه: “إني أخال أن لو كان الشيخ عبد القادر الكيلاني، والشاه النقشبندي، والإمام الرباني. وأمثالهم، من أقطاب الإيمان، رضوان الله عليه أجمعين.. أجل لو كان هؤلاء في عصرنا هذا، لبذلوا كل ما في وسعهم لتقوية: “الحقائق الإيمانية والعقائد الإسلامية”، ذلك لأن منشأ السعادة الأبدية فيهما. وأن أي تقصير مهما كان فيهما يعني الشقاء الأبدى، إذ لا يمكن الدخول إلى الجنة دون إيمان” 8.

وما أن انتهيت من التأمل في هذا الكلام، حتى وجدت نفسي أمام العنوان الذي يصلح ويكاد أن يكون واضحاً. أن القرآن الكريم دعا بإلحاح، إلى الإيمان بالحقائق الكبرى- دعا إلى الإيمان بالله، خالق الكون. ودعا إلى الإيمان بالحياة الآخرة، التي تتجلى فيها مسئولية الإنسان، ويتحدد مصيره الأبدى، ودعا إلى الإيمان بالنبوة والوحي، طريقاً إلى معرفة الحقائق التي يريد الله أن يلقها إلى الإنسان.. سواء كان موضوعها عالم الغيب، أو حقائق ما وراء المادة. أم كان توجيه الإنسان، وتنظيم شؤنه في هذه الحياة. 9

والباحث والدارس لمجموعة الكلمات من كليات رسائل النود، للإمام العلامة بديع الزمان سعيد النورسي يلحظ بوضوح. أن العلامة بديع الزمان، تناول هذه الحقائق تناو لا يؤدي إلى معرفة الله والإيمان به.

وترى ذلك واضحاً في الكلمة الثانية من مجموعة الكلمات الكبرى، والتي تفسر سرّاً مهماً من أسرار آية: والذين يؤمنون بالغيب. 10

- كما ترى ذلك في الإشارة الأولى من المقدمة التي تثبت وجود صانع العالم بوجه بديع.

11

- وترى ذلك أيضاً في الإشارة الثانية التي تثبت الرسالة الاحمدية، بعدة من وظائف

الرسالة. 12.

- وترى ذلك في الحقيقة الثانية عشرة: باب الرسالة والتنزيل، وجلوة بسم الله الرحمن

الرحيم.

- وترى ذلك واضحاً في الخاتمة التي تثبت سهولة الحشر الاعظم.

- وترى ذلك في الرشحة الثانية عشرة. إنه برهان قاطع، ودليل ساطع لوجود الآخرة، كما أنه برهان ناطق، ودليل صادق، على وجود الخالق.

- وترى ذلك في الكلمة الثانية والعشرين. مما يتصل بالتوحيد.

- وترى ذلك في الكلمة التاسعة والعشرين، من موازين رسائل النور. 13.

- وترى ذلك واضحاً في مناحي كثيرة، ومواقف متعددة، مما صنفه العلامة بديع الزمان سعيد النورسي. مما يؤكد لك:

نظرة الإسلام إلى الصلة بين الله والكون، وبين الله والإنسان، وبين الكون والإنسان.

- ويتكون من مجموع ذلك: عقيدة كاملة، ونظرة شاملة. وهذه العقيدة لا تتطلب تجربة

كبيرة للإيمان. ولا تثير في العادة مصاعب عقلية خاصة. 14.

إن العلامة الشيخ بديع الزمان، يخص بالحقائق الإيمانية الإنسان. ويخص بالمخاطبة المسلم. لأنه هو المقصود. ويريد في الوقت نفسه أن يشعره بموقعه من هذا الكون.

لان الإنسان أولاً: نوع من أنواع أخرى في هذا الكون. اشترك معها في أمور، ثم يتميز عنها.

والإنسان ثانياً: نوع من أنواع الحيوانات، يدخل في تصنيفها، ويشترك معها في أمور. قال تعالى: والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه، ومنهم من يمشي على أربع. 15

والإنسان ثالثاً: نوع متميز عن الحيوان.

والإنسان رابعاً: يتميز بجانب روحي. وهو الجانب الذي رفع مربية الإنسان وجعله في مقام التكريم.

ولهذا يخاطب بديع الزمان الإنسان. قائلاً له: "إن كنت تروم الحصول على علم الحقيقة والحكمة الحقّة، فاطفر بمعرفة الله. إذ حقائق الموجودات كلها إنما هي شعاعات اسم الله الحق، ومظاهر زسمائه الحسنی، وتجليات صفاته الجليلة..". 16

يقول زبير كوندوز آلب أحد تلاميذ الأستاذ النورسي المخلصين: إن أعداء الدين يهدفون أول ما يهدفون في وسائلهم، إلى تهوين أركان الإيمان، واضعافها في النفوس. ومن ثم القيام بهدمها وإزالتها.. إذ من المعلوم أن سريان شبهة واحدة، في أحد أركان الإيمان، أو إنكاراً جزئية

فيه لهي أخطر بكثير وأدح من إهمال يقع في الأمور الفرعية في الدين. ولأجل هذا أصبح أجلّ خدمة تقدم في الوقت الحاضر للإسلام هو: تقوية الإيمان في القلوب، وترسيخه في النفوس. وذلك بتحويله من إيمان تقليدي خامد إلى إيمان تحقيقي ينبض بالحياة. فتقوية الإيمان هي في مقدمة المستلزمات الآنية، وانقاذ الإيمان هو من أولى الواجبات والمهمات". 17

فالحقائق الإيمانية، والعقائد الإسلامية. تزود المؤمن بمضادات ذات قيم فعالة تعالج ما قد يبتلي به من إصابات سلوكية. وقد حرص العلامة الشيخ بديع الزمان على إبراز هذه الحقائق، وإعطاء ما تستحق، لأنها:

- تربط الإنسان بالله، وبقوى الكون الظاهرة والخافية.

- ولأنها تبث الثقة، والطمأنينة في الإنسان، وتمنحه القوة لمواجهة القوى اللاحادية والأوضاع الباطلة.

- ولأنها توضح للإنسان غايته واتجاهه وطريقه..

- ولأنها تجمع للإنسان طاقاته وقواه، وتدفعها في اتجاه الغاية.

- ولأنها تقدم للإنسان الحل لمشكلاته جميعها.

- ولأنها تتسع لكل أنواع النشاط الإنساني، وتربط بين المادة والروح.

- ولأنها كفيلة بتعديل القيم والموازن، وتعديل الحكم، والتقدير، وتعديل المنهج والسلوك،

وتعديل الوسائل والأسباب. 18

هذه الحقائق يكفي أن تستقر في قلب المؤمن لتقف به أمام الدنيا كلها بمن فيها، وما فيها.. عزيزاً.

والحقائق الإيمانية - عند الشيخ بديع الزمان - كما وضحت من "رسائل النور" تساهم مساهمة فعالة، في بناء الإنسان المؤمن، وترسخ عنده القيم. لأنها تشكل النظرة التفسيرية للحياة والوجود. فتسلك كأساس لتصور الإنسان للمواقف، والسلوك، والعلاقات، كمنطلق للتقويم، وإصدار الأحكام على الأشياء، وفهمها..

ليس في عالم المعتقدات عقيدة كعقيدة التوحيد - الإيمان بالله - من حيث سعتها، وشمولها، وانطباعاتها، على كل موقف، وسلوك إنساني. حتى ليسلك هذه العقيدة "الإيمان بالله" وما يتفرع عنه، كرائد. يخطط للإنسان طريق السير، وقائد يتقدم المسيرة، ومحور تدور عليه كل نشاطات

الإنسان.

اهتمام الإمام بديع الزمان بالدعوة إلى الإيمان

إن الإمام بديع الزمان سعيد النورسي اهتم بمحاسن الإيمان، والحقائق الإيمانية، اهتماماً بالغاً لأن الإيمان بالله هو أساس كل تقدم، كما هو أساس كل مواجهة للتحديات..

وأثبت التاريخ أن الذين تربوا في مدارس الإيمان هم وحدهم الذين صلحت بهم الحياة، واعتدل في أيديهم ميزان الحق والعدل. وانكشف بسبب وجودهم، ونقاء أخلاقهم: أساليب الوضاعة، والخيانة، والغدر. إن هذه المعاني التي أثبتتها التاريخ، كانت ماثلة أمام الإمام الشيخ بديع الزمان. وهو يسعى في رسائله إلى إيجاد خصائص ومقومات، يتقوم بها محتوى الذات واتجاهها..

ولذلك عمل على أن يقدم للأمة الإسلامية كل ما من شأنه أن يأخذ بالمسلمين إلى الطرق.. يريد أن ترى المجتمعات الإسلامية نمطاً جديداً من الناس. يعطي من نفسه ليسعد غيره. ويرضي بالهلاك لذاته كي تحيا وتنهض أمته.

يقول الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي: "أخواني الصادقين الأوفياء: إنه لأجل إطمئنان عوام المؤمنين، وتقبلهم حقائق الإيمان دون تردد يساورهم يلزم في الوقت الحاضر، وجود معلمين يحملون من الإيثار ما يجعلهم يضحون لا بمنافعهم الدنيوية وحدها. بل بمنافعهم الأخروية أيضاً. في سبيل منافع أهل الإيمان الأخروية.

فيكون ذلك الدرس الإيماني خالصاً نقياً. بحيث لا يفكرون فيه بالمنافع الشخصية مهما كانت. بل يسعون في الخدمة الإيمانية بالحقائق. نيلاً لرضى الله، وعشقا للحقيقة، وشوقاً إلى الحق والسداد الذي في الخدمة.

وذلك ليطمئن كل من يحتاج إلى الإيمان اطمئناناً تاماً" .. 19

"إن أعظم إحسان أعده في هذا الزمان وأجل وظيفة، هو إنقاذ الإيمان والسعي لإمداد إيمان الآخرين بالقوة، فاحذر يا أخي من الانانية والغرور، وتجنب من كل ما يؤدي إليهما. بل ينبغي لأهل الحقيقة في هذا الزمان التجرد من حظ النفس، ونبذ الغرور والأنانية. وهذا هو الألزم لهم، لأن أعظم خطر يتأتى في هذا العصر، إنما يتأتى من الانانية والإعجاب بالنفس، فعلى أهل الحق والحقيقة أن ينظر كل منهم الى تقصيرات نفسه ويتهمها دائماً ويتحلى بالتواضع التام". 20

هذه المواقف توضح الوجهة التي يجب أن يتجه نحوها الإنسان، والغاية التي يجب أن يسعى إليها، ويتسابق من أجل الفوز بها، ليركز اتجاهه وغايته في كل أفعاله ونواياه في الاتجاه إلى الله. والدارس لمواقف الإمام الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي، يجد أن هذه المواقف إيمانية. لا تتبغى سوى الإيمان، وترسيخ حقائق الإيمان. والمواقف الإيمانية لا تنتظر إلى "الأنا". إنما تفكر في "نحن" أي في الآخرين، وأمر المؤمنين.

ودعوة الإمام بديع الزمان تنطلق من القرآن الكريم الذي علم الإنسان. أن المؤمنين يعطون لأنفسهم، ويتحملون في سبيل العطاء المصاعب. وإن انطلاقة الإمام الشيخ بديع الزمان من القرآن الكريم، جعلت الرجل قريباً من القلوب والعقول..

ولما كانت لهذا الحكيم معرفته بالنفس الإنسانية. وأنها كالجسم تسعد وتشقى، وتصح وتمرض، وتتسامى وتتسافل. هي كذلك كالجسم بحاجة إلى وقاية قبل الإصابة وبحاجة إلى علاج إذا سقطت فريسة الأوبئة التي تتاب النفوس المظلمة التي فقدت مناعتها..

ولما كانت للإمام الشيخ بديع الزمان معرفته بهذا، استطاع بثقافته القرآنية، أن يضع رسائل ومصنفات، كقيلة باتقاد جذوة الإيمان في نفس الإنسان المسلم حتى يجوب رياض اليقين، وتطل نفسه على نور البصيرة في الرؤية، الذي لا يعتريه غروب، ويتوفر لديه حضور الوازع الداخلي الذي لا يعقبه غياب.. أدرك الرجل بثقافته القرآنية، وذكائه الحاد. أن الإيمان قوة لا تدانيها قوة في شد الأعصاب، وشحن الخلايا والطاقات. ولهذا أبرز محاسن الإيمان والنتائج التي ترتبت على الالتزام بهذه المحاسن.

قال تعالى: فأبي الفريقين أحق بالآمن إن كنتم تعلمون. الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون.

ولا يخفى أن أثر الإيمان يبرز بوضوح في الدعوات التي غيرت وجهه التاريخ. لذا يعتمد أصحاب الدعوات إلى اختيار العناصر المؤمنة. ويصرفون نظرهم عن الكثرة فهم لا يريدون "الكَمَّ" بل يريدون "الكيف".

والرعيل الأول من المسلمين كانوا أساتذة الدنيا بقوة إيمانهم بربهم. وقد لاقوا آلاماً شديدة، لو صبت على غيرهم لغير موقفهم. ولكن الإيمان حين يخاط القلوب، يجعل أصحابها قوة.

فبلال الحبشي، وعمار بن ياسر، ومصعب بن عمير، وصهيب الرومي.. ضربوا الرقم القياسي في صلابة العقيدة، وصدق النية، وقوة الإيمان.

ولقد استطاع الحكيم بديع الزمان، أن يُجَلِّيَ الحقائق الإيمانية، والعقائد الإسلامية. لتكون

أكثر وضوحاً، وأقرب منهلاً .. فعالج قضايا الإيمان بالله، وبملائكته وكتبه ورسله، كما عرض للوحي والنبوة ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم . والبعث . وأمور الآخرة.. مما مكنه من توضيح الرؤية الحياتية للإنسان. ورسم منهج السلوك، وأسلوب الحياة.

ولا يكون المرء مجاناً للصواب، إذا أدرك أن أشد ما تحتاج إليه الأمة هو: الإيمان.. الإيمان الحقيقي.. الإيمان الذي يفيض بالعطاء على الآخرين.. لأن أعظم وظيفة هي انقاذ الإيمان، والسعي - كما يقول بديع الزمان - لإمداد إيمان الآخرين بالقوة.. لقد كان أسلوب بديع الزمان - وهو يعرض لحقائق الإيمان - أسلوب ترسيخ وتأكيد - وليس أسلوب عواطف وانفعال. لقد خاطب الرجل العقل والقلب فوصل إلى القلب والعقل.

ويمكن أن يقال: لماذا اهتم بديع الزمان بالإيمان وقضاياها؟ والباحث في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقصة ظهور الإسلام وانتشاره في الأرض يدرك. أن سيرة الرسول صوات الله وسلامه عليه قامت على الإيمان، وللإيمان. وظهور الإسلام تم على إنطلاق الإيمان، ولتشر الإيمان، وترسيخه بين الناس، ومن هنا ندرك أبعاد اهتمام الحكيم بديع الزمان بالإيمان، وحقائق الإيمان، ومما هو مؤكد لدى الباحثين: أن العقيدة الإسلامية "الإيمان" كانت في حياة المسلمين هي النافذة، التي يطلون منها على العوالم الحية، كما كانت العقيدة ذاتها تذك المنظار الذي ترى بواسطته كافة الحقائق..

وأن أمة تخطو في الطريق، وتسعي إلى المجد. لا بد وأن تتعلم، وتنتهي إلى الإيمان بالله.

---

#### المصادر والمراجع

- 1- القرآن الكريم.
- 2- كتب السنة النبوية.
- 3- الإمام بديع الزمان، مجموعة الكلمات من كليات رسائل النور.
- 4- احسان قاسم الصالحي، بديع الزمان سعيد النورسي، ط. دار الوفاء. مصر.
- 5- الإمام بديع الزمان، الإيمان وتكامل الإنسان، ط. دار الوفاء. مصر.
- 6- د. أحمد السايح، عقيدة الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، بحث معد للنشر.
- 7- د. أحمد السايح، علم العقيدة بين الأصالة والمعاصرة، ط. القاهرة.

- 8- د. أحمد السايح فلسفة الحضارة الإسلامية، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1990م.
- 9- د. علي محيي الدين القره داغي، الإنسان والإيمان، تحقيق، ط. دار الاعتصام بالقاهرة.
- 10- محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ط. القاهرة.
- 11- الإمام علي، نهج البلاغة، تحقيق محمد عبده، ط. القاهرة.
- 12- بديع الزمان، مرشد أهل القرآن إلى حقائق الإيمان، ط. بغداد.